

سلسلة دعوت ري

ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرّة أعين واجعلنا للمتقين إماماً

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين. أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه. نسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك.. وبعد:

يقول الله تعالى في سورة الفرقان على لسان المؤمنين ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان 74].

سَأَلَ كَثِيرُ بْنُ زَيْادٍ الْحَسَنَ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾، فَقَالَ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، مَا هَذِهِ قُرَّةُ الْأَعْيُنِ؟ أَفِي الدُّنْيَا، أَمْ فِي الْآخِرَةِ؟ قَالَ: ((لَا بَلَّ وَاللَّهِ فِي الدُّنْيَا))، قَالَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: ((هِيَ وَاللَّهِ أَنْ يُرِيَ اللَّهُ الْعَبْدَ مِنْ زَوْجَتِهِ، مِنْ أَخِيهِ، مِنْ حَمِيمِهِ طَاعَةَ اللَّهِ، لَا وَاللَّهِ مَا شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ مِنْ أَنْ يَرَى وَالِدًا أَوْ وَلَدًا أَوْ حَمِيمًا أَوْ أَخًا مُطِيعًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)) [شعب الإيمان].

قرة عيون الآباء أن يخرج الله تعالى من أصلاهم أناساً قريبين من الله عز وجل يجتهدون في طاعة الله عز وجل.

قال الإمام الزمخشري: ((سألوا ربهم أن يرزقهم أزواجاً وأعقاباً عمالاً لله)) [الكشاف].

شيء جميل إذا أكرمك الله بولد عامل عند الله، تستطيع أن تتخيل سعادتك وأنت على هذه الحالة، رزقك الله بولد من حفظة كتاب الله من معلمي القرآن الكريم، رزقك الله بولد جعل الله على يده هداية الخلق، رزقك الله ولداً أو بنتاً جعله أو جعلها سبباً في سوق الخير لآلاف العباد، هذه قرة العين للأب والأم.

قَالَ الْفَرُطِيُّ: ((لَيْسَ شَيْءٌ أَقَرَّ لِعَيْنِ الْمُؤْمِنِ مِنْ أَنْ يَرَى زَوْجَتَهُ وَأَوْلَادَهُ مُطِيعِينَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)) [تفسير البغوي].

في هذا الزمن الصعب يحار المرء كيف ينجو أولاده من الشبهات التي تحيط بهم، في هذا الوقت الصعب يتقلب أحدنا على فراشه ليل نهار أن أولادي في أي مكان سيعيشون، ابنتي إذا مشيت في

الطريق أي حماية أستطيع أن أحميها، ابني إذا نزل إلى سوق تجاري أو إلى الجامعة أخاف عليه أن يتخبطه الشيطان أو أن يسطو عليه رفاق السوء.

في الحقيقة يوجد كتب تربية كثيرة -ونحن عاقدون على عقد دورة في تربية الأبناء- لكن الحق إذا أردت صلاح أولادك، فإنَّ الباب الرئيس في صلاح الأولاد دعاء الآباء والأمهات، فنصيحة إلى كل شاب ينوي الذهاب الآن إلى الزواج من الآن ابدأ الدعاء لأولادك، وكل أب وأم عندهم أولاد، كلمة السر في صلاح أولادكم أن يتدخل الله عز وجل فيهم.

والله إنكم لتعجبون من ابن نبي يخرج كافراً، وإنكم لتعجبون من ابن كافر يكون أبا الأنبياء. والله إنكم لتقرؤون أحياناً فيما ترونهم يعيرونكم بعض أولاد الشيوخ من أفجر الفجرة. كان معنا أخ في المسجد هو حمامة المسجد أبوه ملحد وأمه ملحدة. والله كنت كلما رأيته قرأت قول الله عز وجل فيه ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ [الأنعام 95] وأبوه ضرس في الإلحاد، ليس مجرد ملحد عادي بل هو ضرس في الإلحاد، فكيف خرج ولده حمامة في المسجد؟ الله أكبر، هذا ليرينا الله أنَّ الفاعل في الكون هو رب العالمين.

المؤمنون من دعائهم ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتًا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ اجعلوها ورداً في ليلكم وفي نهاركم ليصلح أبنائكم.

كان رجل من الصالحين يكثر من صلاة الليل، فرآه ابنه الصغير يقوم من الليل كثيراً، يطيل الركوع والسجود، فسأله لم تطيل من قيام الليل؟ قال: من أجلك يا ولدي.

هناك خمسة أمور تعين بها ولدك على برك إذا أردت ولدك أن يكون باراً، وإذا أردت أن تكون ابنتك بارة، فعليك بخمسة أمور: واحد منها الدعاء للأبناء، واحذروا أن يدعو أحدكم على ولده، واحذرن أيتها الأمهات أن تدعو واحدة منكن على ابنها أو ابنتها.

رجل ذهب إلى أحد الشيوخ قال: يا شيخ، إنَّ ابني يؤمني فعالة، قال: هل كنت تدعو عليه بشيء؟ قال: نعم كنت أدعو ألا يوفقه الله -أحياناً الأب أو الأم في لحظة غضب يدعو دعاءً قاسياً- قال: أنت أفسدته.

إذا كنت تدعو ألا يوفقه الله فسيصبح عاقاً وشاقاً وسيئاً وفاحشاً وبذيئاً ويتسلط عليه الأشرار. قرّة عين الأب والأم أن يكون ابنهما من الصالحين، فهذه رسالة إلى الشباب والشابات الأبناء، ورسالة إلى الآباء والأمهات، أما الآباء والأمهات ما استطعتم أن تدعو لأولادكم فافعلوا.

جمع الإمام السيوطي كتاباً سماه (مجاوب الدعوة) أي من الذي دعاؤه مستجاب. واحد من هؤلاء المجابين دعوة الأب لابنه أو عليه، فإن دعوت أنت لابنك أفضل من أن يدعو له أكبر شيخ، أكبر شيخ هو رجل صالح نعم، لكن دعوتك لولدك لها سر ليس كأبي شيخ يدعو لولدك، فهي رسالة للآباء والأمهات أن تكثرُوا من الدعاء لأولادكم في رمضان، في ساعات القرب من الله عز وجل، في صلاة التهجد، في صلاة قيام الليل، عند الإفطار أكثرُوا من هذا الدعاء.

والله قال لي أخ يحضر معنا وهو طبيب صاحب اختصاص، وقد هيء الله له زوجة صالحة موافقة، وأكرمه الله بدار وسيارة، وأخلاقه بفضل الله عز وجل عالية، وعلاقاته الاجتماعية جيدة يقول لي: جزى الله والدي عنا خير الجزاء، منذ كنا صغاراً كان يدعو لنا، وكان يوصينا ويذكرنا بأن ندعو لأنفسنا بأن يجعلنا الله من أهل الصلاح، وأن يجعل هداية الخلق على أيدينا وأن يوسع علينا أرزاقنا يقول: ونحن صغار ماذا يعني أن يوسع الله علي رزقي ومصروفي كله مئة ليرة سورية؟!، لكن الأب كان يخطط لبعيد، تراكم هذا الدعاء إلى أن صاروا رجالاً، ففتح الله تعالى عليهم بإجابة أدعيتهم وأدعية أبيهم وأمهم. فالرسالة للآباء والأمهات أن تكثرُوا من الدعاء لأولادكم خاصة في هذا الزمن، وأنتم ترون الصعوبات الشديدة، لكن إذا تدخل الله جعل الله كل هذه الآلام، وكل هذه النيران التي تحيط بالناس برداً وسلاماً ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء 69]

فالرسالة للآباء والأمهات أن تكثرُوا من الدعاء لأولادكم، والرسالة للأبناء والبنات أن يتيقنوا أن قرّة عيون آبائهم وأمهاتهم أن يكونوا صالحين، يملأ قلب أبيك سعادة أن تكون صالحاً، أن تكون محافظاً على الطاعات، أن تكون باراً، أن تكون مقضياً للخلق، أن تسوق الخير إلى العباد، وهي قرّة العين لأبيك وأهلك.

ذكر الخطيب البغدادي في تاريخه قال: ((أنّ فروخ أبا عبد الرحمن أبو ربيعة خرج في البعوث إلى خراسان أيام بني أمية غازياً، وربيعه حمل في بطن أمه، وخلف عند زوجته أم ربيعة ثلاثين ألف دينار، فقدم المدينة بعد سبع وعشرين سنة وهو راكب فرساً في يده رمح، فنزل عن فرسه، ثم دفع الباب برمحه فخرج ربيعة، فقال له: يا عدو الله أتجم على منزلي، فقال لا، وقال فروخ: يا عدو الله، أنت رجل دخلت على حرمتي، فتواثبا وتلبب كل واحد منهما بصاحبه، حتى اجتمع الجيران فبلغ مالك بن أنس، والمشixe فأتوا يعينون ربيعة، فجعل ربيعة، يقول: والله لا فارقتك إلا عند السلطان وجعل فروخ، يقول: والله لا فارقتك إلا بالسلطان، وأنت مع امرأتي وكثر الضجيج، فلما بصروا بمالك، سكت الناس كلهم، فقال مالك: أيها الشيخ لك سعة في غير هذه الدار، فقال

الشيخ: هي داري، وأنا فروخ مولى بني فلان، فسمعت امرأته كلامه، فخرجت، فقالت: هذا زوجي وهذا ابني الذي خلفته، وأنا حامل به فاعتنقا جميعاً، وبكيا فدخل فروخ المنزل، وَقَالَ: هذا ابني، قالت: نعم، قَالَ: فأخرجني المال الذي لي عندك، وهذه معي أربعة آلاف دينار، فقالت: المال قد دفنته، وأنا أخرجه بعد أيام، فخرج ربيعة إلى المسجد، وجلس في حلقة، وأتاه مالك بن أنس، والحسن بن زيد، وابن أبي عليّ اللهي، والمساحقي، وأشراف أهل المدينة، وأحدق الناس به، فقالت امرأته: اخرج صل في مسجد الرسول، فخرج فصلّى فنظر إلى حلقة وافرة فأتاه، فوقف عَلَيْهِ ففرجوا له قليلاً، ونكس ربيعة رأسه يوهمه أنه لم يره، وعليه طويلة فشك فيه أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ: من هذا الرجل؟ فَقَالُوا له: هذا ربيعة بن أبي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ: لقد رفع الله ابني، فرجع إلى منزله، فَقَالَ لوالدته: لقد رأيت ولدك في حالة ما رأيت أحداً من أهل العلم والفقه عليها، فقالت أمه: أيما أحب إليك ثلاثون ألف دينار، أو هذا الذي هو فيه من الجاه، قَالَ: لا والله إلا هذا، قالت: فإني قد أنفقت المال كله عَلَيْهِ، قَالَ: فوالله ما ضيعته)) [تاريخ بغداد].
والله يا شباب، إذا تصلحون وإذا تتقربون إلى الله وإذا تزدادون بذلاً للخير إلى الناس تملؤون قلوب آبائكم وأمهاتكم سعادة وهناءً.

لو أنك أتيت بصحن حلويات لوالدك يفرح به، لكن ينتهي حيث تعلم، وإذا أخرجته في نزهة يفرح لكن ينتهي في أرضه، وإذا تحدثت مع والدتك كلاماً لبقاً جيد، لكن إذا كنت صالحاً هذا الصلاح سيستمر حساناً في صحائف أبيك وأمك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.
ربما تكون سبباً في إيصال الخير إلى العباد فيتنامى هذا الخير في صحائف أبيك وأمك فتكون قرّة عين لأبيك وأمك.

لطيفة في هذه الآية:

لم قال الله ﴿قُرَّةُ أَعْيُنٍ﴾؟

القر في اللغة: هو البرد.

والعين إذا دمعت دمة سرور كانت دمعته باردة، وأما دمة الحزن فحارة، وضد قرّة العين سخنة العين.

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتًا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ أي يا رب، اجعل عيوننا تبرد بدموع الفرح بزوجاتنا وأولادنا.

وفي لفظة لغوية أخرى موجودة في القرآن عامة وفي هذه الآية خاصة, يعبر القرآن أحياناً عن الرجل والمرأة بقوله زوج وزوجة أو زوجين, وأحياناً يقول: ﴿امْرَأَتُ نُوحٍ﴾ [التحريم 10] وأحياناً يقول: ﴿بُعْلِي﴾ [هود 72] عن الزوج, فإذا كان الزوجان متفقان فيعبر القرآن عنهما بزوج, وإذا كانا مختلفين فيعبر عن الزوج بقوله (بعل) وعن الزوجة بقوله (امرأة) خذوا مثلاً عند الاختلاف في الدين قال الله تعالى ﴿امْرَأَتُ نُوحٍ وَامْرَأَتُ لُوطٍ﴾ [التحريم 10] لم يقل زوجة لاختلاف في الدين, عند حدوث نزاع في الأسرة ﴿وَإِنَّ امْرَأَةً خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ [النساء 128] لم يقل زوجة. عندما يكونان مختلفين يقول (امرأة) (بعل), لكن لما يكونان متفقين يقول (زوج) ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ .

نسأل الله عز وجل أن يصلحنا وأن يصلح أولادنا, وأن يهبنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين, وأن يجعلنا للمتقين إماماً.

وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.
والحمد لله رب العالمين.